

فرحان العنزي

أبو بكر الصديق

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزيز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الحمد لله المحمود في عليائه، الحمد لله المعبود في أرضه وسمائه،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً يأمن من قالها وعمل
بمقتضاها يوم لقائه، ما أودعها صدرٌ إلا استقر وانشرح، ولا أشربها قلبٌ إلا
اطمأن وانفسح، ولا قُذِفَ بها على باطلٍ إلا زهق وتزحزح، من استفتح
بأيمانها ولج، ومن خاصم ببرهانها فلج، ومن حاد عن بيئاتها الواضحة
السمحة ذلٌ وزلج، هي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها
إبراهيم كلمةً باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ورفيقه وخليفه الذي انتقاه من أظهر
سلالة، واصطفاه للبلاغ والرسالة، وأيده بالحُجج البُلغ، وخصّه بالنصر
المؤزر والفلج، رمى به الأقران فأتاهم دون بُث، وأنزل عليه القرآن فقراه
على الناس على مُكث، أدّى ما عليه ائتمنه، ولم يحتسب إلا على الله أجره
وثنمه.

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين آزرُوا ووزرُوا،
وأنصاره الذين آوُوا ونصروا، نجوم الهدى اللوامع، وغيوث الندى الهوامع،
صلاةً وتسليمًا يهبان هبوب الرياح، ويتعاقبان تعاقب المساء والصبح، وعلى
من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّمْ تسليمًا مزيدًا.

أَمَّا بَعْدُ...

فاتقوا الله يا عباد الله، واعلموا أن التقوى برهانكم يوم تلتبس الأمور، ويختلط الظلام بالنور، قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ ﴿٢٩﴾ [الأَنْفَال: ٢٩].

عباد الله: إن الله ﷻ نظر في قلوب العباد فوجد أطهر القلوب قلب محمد ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فاختره لرسالته، ووجد أطهر القلوب بعد قلب محمد ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قلوب أصحابه فاخترهم لصحبته، فاعرفوا لهم حقهم يا عباد الله.

ولذلك كما أن الله ﷻ اختار محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لتبليغ رسالته ودينه، كذلك اختار له أصحابًا ينصرونه ويؤازرونه، ويبلغون دين الله رب العالمين، فالصحة اختيارًا واصطفاءً، كما أن النبوة اصطفاءً واختيارًا.

ولقد امتدح الله ﷻ أصحاب محمد ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في القرآن كثيرًا:

يقول الله ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

ويقول ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهُ فَتَأْزَرُهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

ويقول الله ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ

فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٨-٩].

ويقول الله ﷺ في كتابه العزيز مشيرًا إلى أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِينًا ﷺ فضل هؤلاء الأصحاب الكرام، وأن الله تعالى رضي عنهم وأرضاهم، ووعدهم الجنان والرضوان، والروح والريحان، ولذلك تكاثرت نصوص القرآن والسنة بالتأكيد على فضيلة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا من جهة العموم أيها المؤمنون.

أما من جهة الخصوص: فإن أفضل الصحابة على الإطلاق هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، هذا الرجل العملاق من عمالقة الإسلام الذي حُشي إيمانًا، ومُلء يقينًا، هذا الرجل الذي ذكره الله ﷺ في القرآن في أكثر من موضع ومكان.

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه ركنٌ من أركان هذه الأمة بشهادة القرآن وبشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بل بشهادة جميع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلقد سبق أبو بكر سبقًا عظيمًا، وإن التفاوت بين إيمانه وإيمان بقية الصحابة كما هو التفاوت بين السماء والأرض.

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي قال الله ﷺ في كتابه العزيز: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠] فأضاف الله ﷺ هذه الصحبة للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويا لها من

شرف، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠]

وبإجماع أهل الإسلام أن صاحب هنا هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ويقول ﷺ: ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾ [الليل: ١٧] قال أهل العلم في تفسير راجح: أن المقصود بهذا الأتقى هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

أبو بكر الصديق نال هذا اللقب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما صعد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جبل أحد فرجف، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أُنْبِتُ أَحَدًا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصَدِيقٌ، وَشَهِيدَانِ»^(١) وكان معه أبو بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، إنها رتبة الصديقية التي لا يصلها إلا من وفقه الله ﷺ لذلك، وقد سبق إليها أبو بكر الصديق سبقًا عظيمًا.

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن معنى قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت: "يا رسول الله: أهم الذين يزنون ويسرقون ويشربون الخمر؟" فقال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَا ابْنَةَ الصَّدِيقِ»^(٢) فلقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُلقب أبا بكر بهذا اللقب الشريف العظيم، إنها رتبة الصديقية التي هي قريبة من رتبة الأنبياء والمرسلين يوم القيامة: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وصححه

الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٣٠٤).

إنه أبو بكر الصديق الذي أخره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الهجرة ليكون صاحبه في الطريق، وليدخل معه الغار، فليس هناك اثنين أفضل من هذين؛ لأن الله ﷻ معهما.

أبو بكر الصديق بشهادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه من أهل الجنة، وهذا فيه نصوص عامة وخاصة؛ لأن أبا بكر شهد المشاهد كلها، ولم يفارق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا في حضر، ولا في سفر، إلا فيما أذن له فيه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ كحج أو غزوة.

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه بشره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالجنة، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ» (١)،

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أصبح مرة صباحاً فقال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَقَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ وَقَدْ عَادَ مَرِيضاً؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ وَقَدْ اتَّبَعَ جَنَارَةً؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ وَقَدْ أَطْعَمَ مِسْكِيناً؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعَتْ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٢).

وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه يوم القيامة يُدعى الناس من أبواب الجنة، فقال أبو بكر: "ما على امرئ أن يُدعى منها" (٣) فشهد له النبي

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣)، من حديث

سعيد بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (١٠ / ١١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أنه يُدعى من أبواب الجنة الثمانية، يا لها من منقبة،
ويا لها من رتبة سامية، إنه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، حبيب رسول
الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

يقول عمرو بن العاص: بعثني الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في غزوة ذات
السلاسل فأتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله، مَنْ أَحَبُّ
الناس إليك؟ قال: «عائِشَةُ»، قلت: من الرجال، قال: «أَبُوهَا»^(١) إنه أبو بكر
الصديق حبيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مخبراً الأمة كلها أنه ما من أحدٍ من
الناس حينما دعاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام إلا تردد أو تلكأ، إلا
أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وما من أحدٍ كانت له يدٌ على رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا وردها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا يد أبي بكر، فإنه آمنٌ
الناس، حتى إن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «وَإِسَانِي فِي نَفْسِهِ وَفِي مَالِي»
فأخذ أبو بكر يبكي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه ويقول: "المنَّة لله ولرسوله وما أنا إلا
فداءٌ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ"^(٢).

أبو بكر هذا العملاق من عمالقة الإسلام حينما دعاه النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دعوة الإسلام، هذه الدعوة دعوة الفطرة تسلت إلى
روح وقلب أبي بكر فأشربها، تسلت تسلُّ الماء الرقاق في الجداول النقية
الصفافية، وتربعت على عرش قلب أبي بكر، فهبَّ داعياً إلى الله ﷻ.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢) بنحوه عن أبي سعيد الخدري

ولذلك تسمعون عن كثيرٍ من رجالات الإسلام؛ كعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد بن الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، هؤلاء كلهم من حسنات أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أسلموا على يديه، وبادروا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مؤازرين ومناصرين، يبذلون الغالي والنفيس في سبيل تبليغ دين الله وكلمة الله رب العالمين.

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، ما من مجالٍ من مجالات الخير إلا وكان سباقاً إليه، طائراً إليه، مرةً من المرات دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الإنفاق في سبيل الله، فقال عمر بن الخطاب: "لأسبقنَّ أبا بكرٍ اليوم، إن سابقته يوماً فأتى بنصف ماله".

تخيّل يا عبد الله يأتي بنصف ماله ويضعه بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيقول له: «يَا عُمَرُ: مَا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟» قال: "مثله"، ثم جاء أبا بكرٍ بماله كله، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَكْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ لِأَهْلِكَ؟» قال: "تركت لهم الله ورسوله (١)".

يا له من إيمان، أتى بجميع ماله، وكان تاجراً من تجّار قريش المشهورين، وكان ذا مالٍ ويدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، فأتى بالمال كله بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا لا يُقدِّم عليه إلا من أُشرب قلبه محبة الله، ومحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والدارمي (١٧٠١)، وقال الألباني في «صحيح أبي داود» (٥ / ٣٦٥): إسناده حسن.

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَوْنُ أَسْرَةٍ حَيَّةٍ تَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ، كَثِيرٌ مِنَ الْأُسْرِ حَيَاتُهَا نَبَاتِيَّةٌ، حَيَاتُهَا شَكْلِيَّةٌ، هِيَ حَيَّةٌ لَكِنَهَا فِي الْوَاقِعِ مَيِّتَةٌ، أَمَّا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَوْنُ أَسْرَةٍ عَجِيبَةٍ، أَسْرَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ، مَا بَيْنَ أَبِي وَأُمِّ وَأَوْلَادٍ مِنْ ذَكَورٍ وَإِنَاثٍ، كُلُّهُمْ خَدَمُوا دِينَ الْإِسْلَامِ، وَكُلُّهُمْ أَسْهَمُوا إِسْهَامَاتٍ كَثِيرَةً فِي رَفْعَةِ الدِّينِ، وَفِي حِمَايَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

وَلَوْلَا أَنَّ الْخُطْبَةَ وَوُضِعَتْ لِلْاِقْتِضَابِ وَالِاخْتِصَارِ لَسَرَدْتَ مِنْ هَذَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَكِنْ حَسْبُنَا مِنْ ذَلِكَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِيقِ الْبَتُولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، حَبِيبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُوهَا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقِ، وَأَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَاتُ النُّطَاقِينَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَبُو بَكْرٍ الْحَدِيثُ عَنْهُ ذُو شَجُونٍ، وَالْجُعْبَةُ مَلَأَى، أَبُو بَكْرٍ حَدِيقَةٌ غَنَاءٌ، وَبَسْتَانٌ أَفِيحٌ، مَا مِنْ خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا كَانَ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، مَا مِنْ فَضِيلَةٍ مِنَ الْفَضَائِلِ إِلَّا وَأَبُو بَكْرٍ طَيَّارٌ إِلَيْهَا، مَا مِنْ خَلْقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ إِلَّا وَأَبُو بَكْرٍ تَخَلَّقَ بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي هُوَ أَسِيفٌ إِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ لَا يَمْلِكُ دَمْعَتَهُ ^(١)، لَكِنَّهُ صَلَبٌ فِي الْحَقِّ، وَلِذَلِكَ لَوْلَا أَبُو بَكْرٍ لَذَهَبَ الْإِسْلَامُ كَمَا قَالَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ، حِينَمَا ثَبَتَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَصَدَقَ اللَّهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٢٧] فَلَقَدْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ ﷻ فِي مَوَاقِفٍ يَعْجِزُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَبْطَالِ.

(١) انظر: البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨).

وكثيرٌ من الرجال حينما مات النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حصلت رَدَّة فعل عنيفة، وهزة قوية بين أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كيف يفقدون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ ما بين مصدِّقٍ، وما بين مكذِّبٍ، وعمر قائمٌ يقول: "إنها غشيةٌ كغشية موسى وسيعود ويُقطعُ أيدي وأرجل رجالٍ منافقين^(١)" فيحاول أبو بكرٍ أن يُسكِّته بعدما جاء من العوالي فأبى وهو يهدي ويهدر.

ثم دخل ورفع الغطاء عن وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقبل ما بين عينيه، وقال: "طبت حياً وميتاً يا رسول الله" ثم خرج إلى الناس ودعاهم إلى سماع مقالته، فقال: "يا أيها الناس، مَنْ كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت"، وتلا عليهم قول الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠] فسقط عمر على ركبتيه وأجهش بالبكاء، وأجهش أصحاب محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في البكاء^(٢).

وهنا بعد أيام اشربَّ عنق النفاق، وارتدَّت كثيرٌ من قبائل العرب، ومُنعت الزكاة في كثيرٍ من النواحي، فقام هذا الهزبر الأسد الهصور ليُجيش الجيوش، ليردهم إلى جادة الطريق، وتحت مظلة الإسلام، فيحتج عليه عمر العملاق الذي كان شديداً في الحق ويقول له: "كيف تُقاتل قومًا يقولون: لا إله إلا الله؟" فقال أبو بكرٍ بكل ثبات: "والله لأقاتلنَّ مَنْ فرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقاً - وفي لفظٍ: عقالاً - كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه" قال عمر: "فعرفت أن الله شرح أبي بكرٍ للحق^(٣)".

(١) انظر الذي بعده.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٧، ٣٦٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقام بقتال جملةٍ من القبائل، وذهب إلى جملةٍ من النواحي يقود وهو في المدينة غرفة عمليات فيما يزيد على أحد عشر معركةً في آنٍ واحدٍ، وقد جهَّز قبلها جيش أسامة إنفاذاً لوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولم يذكر التاريخ يوماً عن قائدٍ قاد مثل هذه العمليات في قتال المرتدين، وفي قتال المانعين للزكاة، وفي قتال المنافقين إلا على يد أبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

أبو بكرٍ لا تكفيه خطبةٌ ولا خطبتان، بل ولا عشرات الخطب، أبو بكرٍ الصديق كوكبٌ دري، ونجمٌ مضي، أبو بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما قال الإمام مالك بن أنس حينما سأله الرشيد: ما حال أبي بكرٍ وعمر، وما منزلتهما من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فاخصرها له بجملةٍ واحدة، قال: "منزلتهما في حياته كمنزلتهما بعد وفاته^(١)"، ويُشير إلى أنهما ضجيعاه في غرفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيكفيهما فخراً أن يكونا ضجيعي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فكما كانا وزيريه في الحياة فهما ضجيعيه بعد الوفاة.

رضي الله عن أبي بكرٍ وأرضاه، وجعل الجنة مثوانا ومثواه، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.



(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٥ / ٢٠) عن عبد الله بن مصعب الزبيري.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أما بعد....

فاتقوا الله يا عباد الله، واعرفوا لأصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قدرهم، فإنهم أفضل هذه الأمة علمًا، وأقلها تكلفًا، وأعظمهم هديًا، صحبوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، نصروا النبي الكريم.

ليس في الأمة كالصحابه
فإنهم قد شاهدوا المختار
بالفضل والمعروف والإصابة
وعاينوا الأسرار والأنوار^(١)

هم وصية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي»^(٢).

النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيَّنَّ أن ذهاب الصحابة خطرٌ على هذه الأمة حينما قال: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ

(١) انظر: «موارد الظمان لدروس الزمان» (٢/ ٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٨٠٣)، والترمذي (٣٨٦٢)، وابن حبان (٧٢٥٦)، من حديث

عبد الله بن مغفل، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦/ ٤٤٣).

لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَّةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا تُوعَدُ» (١).

وقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (٢) بمعنى أن الصحابي لو أنفق نصف الكف فإنه يعدل من يُنفق عدل جبل أحدٍ، وهذا يدل على فضل الصحبة لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

ونحن نعتقد حب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا نُبْغِضُ أَحَدًا مِنْهُمْ، بل نَرْضَى عَنْهُمْ؛ لأن الله رضي عنهم، ونرضى عنهم؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مات وهو عنهم راضٍ، فاعرفوا لهم قدرهم يا عباد الله، والتصقوا بسيرتهم، وقرأوا في حياتهم، فلقد كان السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يُدرِّسون ويُعلِّمون أولادهم سيرة أبي بكرٍ وعمر.

وقد سُئِلَ مسروق بن الأجدع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تعلُّم سيرة أبي بكرٍ وعمر، فأشار إلى أنها دينٌ وعبادة، بل عقَّب بعض العلماء فقال بأنها فرضٌ على الناس جميعًا أن ينظروا في سيرة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (٣).

وقد بَشَّرَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقَوْلِهِ وَهُوَ الصَّادِقُ ﷺ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللهُ قِيلاً: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «تثبيت دلائل النبوة» للفاضل عبد الجبار (١/ ٢٤٣).

اللهم ارض عن أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، اللهم ارض عنهم، واجمعنا بهم يا رب العالمين في جنّات النعيم، اللهم صلّ على محمد في الأولين، وصلّ على محمد في الآخرين، وصلّ على محمد ما دامت السموات والأراضين، وارض اللهم عن آله الأطهار، وأصحابه الأخيار لا سيما الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين يا رب العالمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين، واحمي حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر أوطان المسلمين يا رب العالمين، اللهم حبّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من عبادك الراشدين.

اللهم احفظنا عن أيماننا وعن شمائلنا، ومن أماننا ومن خلفنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعزّتك أن نُغتال من تحتنا، اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ونسألك اللهم نعيماً لا ينفذ، وقرّة عينٍ لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك في غير ضراءٍ مضرّة، ولا فتنَةٍ مضلّةٍ برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم زيننا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين، يا رب العالمين ويا أكرم الأكرمين.

اللهم أيّد بالحق إمامنا وولي أمرنا، اللهم أيّد بالحق إمامنا وولي أمرنا، اللهم وألبسه لباس الصحة والعافية، واجعله عوناً وردءاً للإسلام والمسلمين، اللهم انصر به كلمتك، وأعزّ به دينك يا رب العالمين، ووفّق اللهم وليّ عهده وسائر حُكّام الإمارات لما تُحبُّ وترضى، وخُذ بنواصيهم للبر والتقوى،

وارحم اللهم مَنْ انتقل إلى جوارك يا رب العالمين.

اللهم اغفر لشهدائنا، اللهم ارفع درجاتهم في عليين، واخلفهم في عقبهم في الغابرين، اللهم وانصر جنود التحالف العربي يا رب العالمين على مَنْ بغى وظلم إنك أنت العزيز الحكيم، اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات، المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

عباد الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على وافر نعمه يزدكم، ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فرحان بن عزيز

أدكتور عزة بن فرحان كمال بن العنزي
Aziz Farhan AlHeblani AlEnzi